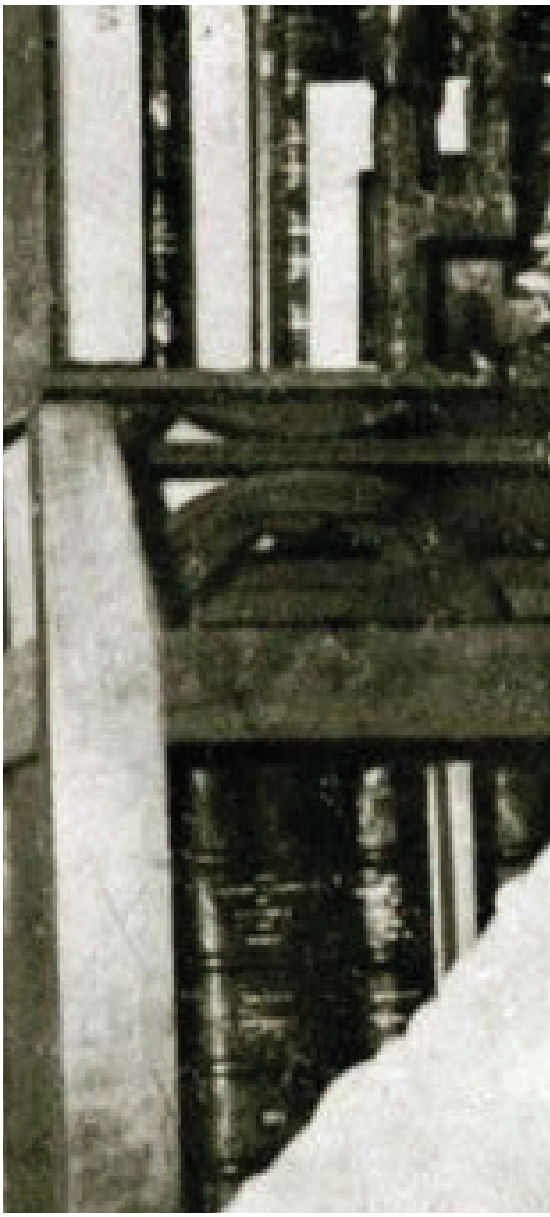

إنَّ الكتابة عن عالم الاجتماع الراحل بول باسكون ليست بالأمر الهيّن، لأنَّه لا يكفي أن نسرد حياة الرّاحل وكتاباته، ونعتقد أنَّنا كتبنا حول بول باسكون الإنسان والباحث والخبير في الشؤون القرويَّة، الذي انخرط في بناء المعرفة العلميّة لواقع المجتمعات القرويَّة منذ بداية خمسينيّات القرن الماضي[١]،

إلى أن اختطفه القدر برفقة الراحل أحمد عريف في رحلة اللّاعودة، عن طريق الخطأ في ليلة ٢١ و٢٢ أبريل (نيسان) ١٩٨٥ في موريتانيا بين نواكشوط وساني[٢]، خلال بعثة مشتركة بين منظمة الفاو ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة بالرباط.[٣]

وُلد بول باسكون في فاس سنة ١٩٣٢[٤] من أبوين فرنسيين، كان والده مهندساً مدنيّاً، وهو حفيد لمستوطنين، من جهة الأب والأم، استقرُّوا بين منطقة «الضويّات»[٥] ووادي النجا.[٦] وكان جدّه مزارعاً، يملك مزرعة صغيرة بسهل سايس على بُعد بضعة كيلومترات من منطقة الضويات التي صارت في ما بعد منطقة أملاك لعرض المنتوجات الفلاحيّة المغربيّة الحديثة.[٧]

تعرّض بول باسكون للعزل عن والديه أثناء الإقامة الجبريّة التي فرضت عليهما خلال الحرب العالميّة الثانية، جرَّاء موقفهما المناهض لنظام «فيشي» الموالي للنازيَّة، هذه العزلة جعلت من «بول باسكون» ذلك الفتى المرفوض من طرف الوسط الفرنسي، حيث ظلَّ يعيش بإحدى الأقسام الداخليَّة بثانويَّة فاس[٨]، الشيء الذي جعل كلّ اتصالات الراحل في ذلك الوقت تتقوَّى بالتلاميذ المغاربة.

ساهم هذا الاتصال في تقوية رصيده اللّغوي عن طريق تعلم اللّغة العربيَّة؛ كردَّة فعل على وسطه الفرنسي.[٩] وقد ساعدته هذه التجربة في تكوين شخصيّته وشقّ مساره العلمي والنضالي، مثلما ساعدته اللّغة العربيّة على الالتحاق بمعهد الدراسات المغربيَّة العليا، بعد أن تحصَّل على شهادة الباكالوريا سنة ١٩٥٣، باعتباره المؤسَّسة الوحيدة التي كانت تستقطب طلبة الدراسات العليا، والتي كانت في الوقت نفسه تهتمّ بتكوين الأطر التنفيذيَّة لسلطات الحماية الفرنسيَّة، وقد انخرط في إنجاز العديد من الدراسات والأبحاث لصالح أساتذة المعهد الذين كانوا يدرسون ما يسمّيه الراحل بالأنثروبولوجيا الاستعماريَّة[١٠]، وكانت البداية بدراسة الهجرة بجنوب المغرب «هجرة شلوح أيت وادريم إلى جرادة».[١١]

انخرط بول باسكون في البحث الميداني منذ أن كان شابّاً يبلغ

١. Habib, Elmalki. Ministre de l'Education Nationale, de l'Enseignement Supérieur, de la Formation des cadres et de la Recherche Scientifique, «Discours d'ouverture» Hommage à Paul Pascon: Devenir de la société rurale, développement économique et mobilisation sociale, Sous la direction de N. Akasbi, D. Benatya, L. Zagdouni, A. Zouggari, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat, ٢٠٠٧, P ٩

٢. Pierre- Robert, Baduel. «Paul Pascon -١٩٣٢ ١٩٨٥» Revue de l'Occident musulman et la Méditerranée, N١٩٨٤ ,٣٨°, P ١٨١

٣ـ زكية، داود، ترجمة: مصطفى المساوي، «زرع النماذج وغياب التجديد» حوار نشر بمجلة «لا ماليف/ LA MALIF » العدد ٤٩ يناير/ فبراير ١٩٧٨ تمّت إعادة نشره بالمجلة نفسها، العدد ١٦٦، ماي ١٩٨٥، ترجمه إلى العربية: مصطفى المساوي، نشر بـ: بول باسكون أو علم الاجتماع القروي، مجموعة من الأساتذة، منشورات منتدى ابن تاشفين: المجتمع والمجال، توزيع مكتبة علال الفاسي، مطبعة دار القرويين- الدار البيضاء، ٢٠١٣، ص ٥

٤. Pierre- Robert, Baduel. «Paul Pascon -١٩٣٢ ١٩٨٥» Op.cit; P ١٨١

٥ـ محمّد، الإدريسي، «المسألة السوسيولوجيّة والقضايا الاجتماعيّة والسياسيّة: مدخل لقراءة في عالم اجتماع مؤسّس وملتزم»، مجلة عمران، العدد ٥/١٩ شتاء ٢٠١٧، ص ١٨٥

٦ـ زكية، داود، ترجمة: مصطفى المساوي. «زرع النماذج وغياب التجديد»، مرجع سبق ذكره، ص ٥

٧ـ محمّد، الإدريسي، «المسألة السوسيولوجيّة والقضايا الاجتماعيّة والسياسيّة: مدخل لقراءة في عالم اجتماع مؤسّس وملتزم»، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٥

٨. Pierre- Robert, Baduel. «Paul Pascon -١٩٣٢ ١٩٨٥» Op. Cit; P ١٨١

٩ـ زكية، داود، ترجمة: مصطفى المساوي، «زرع النماذج وغياب التجديد»، حوار نشر بمجلة «لا ماليف/ LA MALIF » العدد ٤٩ يناير/ فبراير ١٩٧٨ تمّت إعادة نشره بالمجلة نفسها، العدد ١٦٦، مايو ١٩٨٥، ترجمه إلى العربية: مصطفى المساوي، نشر بـ: بيت الحكمة، العدد الثالث، السنة الأولى، أكتوبر ١٩٨٦، ط٣، ص، ٦

١٠ـ المرجع السابق ذكره، ص ٦

١١ـ المرجع السابق ذكره، ص ٦